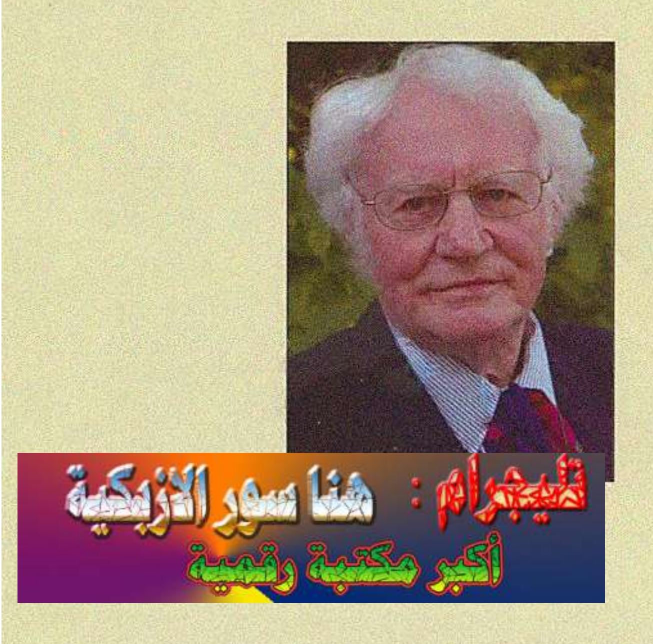
روبرت بلاي

مستعمراتٌ صغيرة من الناجين



اختارها وترجمها: سامر أبو هواش


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

روبرت بلاي

مستعمراتٌ صغيرة من الناجين

اختارها وترجمها: سامر أبو هواش

KALIMA كلمة

منشورات الجمل



روبرت بلاي، مستعمراتُ صغيرة من الناجين، شعر

روبرت بلاي: مستعمراتٌ صغيرة من الناجين، شعر
اختارها وترجمها: سامر أبو هواش، الطبعة الأولى

كلمة، ص.ب: ٢٢٣٨٠ أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٦٣١٤٤٦٨ ٢ ٩٧١ + ـ فاكس: ٦٣١٤٤٦٢ ٢ ٩٧١ +
www.kalima.ae
منشورات الجمل، ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان
تلفاكس: ٦٦٨١١٨ ٠١ (٠٠٩٦١)

Robert Bly:
Small Colonies of the Saved

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany
WebSite: www.al-kamel.de
E-Mail: info@al-kamel.de

روبرت بلاي (١٩٢٦-)

أحد أكثر الأسماء حضوراً وتأثيراً على ساحة الشعر الأميركي منذ نحو خمسة عقود، وتحديداً منذ ١٩٦٢ سنة إصدار مجموعته الشعرية الأولى «صمت في حقول الثلج» التي نبّهت النقاد إلى موهبته. منذ البداية اتخذ بلاي موقفاً مناهضاً عنيفاً، كما تقول الناقدة لورا روزنتال، من الإرث الشعري الأمريكي متمثلاً في شعراء جيل ما بعد الحرب العالمية الأولى أي عزرا باوند وتي إس إليوت ووليم كارلوس وليمز، حيث كتب في مقالة بعنوان «منعطف خاطئ في الشعر الأمريكي» مهاجماً نظرة هؤلاء إلى الشعر بوصفه «شعراً جمالياً موضوعياً منصباً على الخارج، لا يعير اهتماماً للاوعي». معتبراً أن الشاعر ينبغي أن يتبع توجيهات راينر ماريا ريلكه بـ«الغوص داخل الذات»، كما يبرز ذلك في شعر شعراء أمريكا اللاتينيين من أمثال لوركا ونيرودا وماتشادو الذين كان أول من قدّم أعمالهم إلى القارئ الأمريكي في الخمسينات من القرن الفائت من خلال مجلته المختصة بترجمة الشعر الأوروبي.والعالمي «الخمسينات» (والتي صار اسمها يتغيّر مع كل.عقد، ليصير «الستينات»، «السبعينات»...). هذا الاتجاه

نتج عنه في شعر بلاي ما بات يعرف باسم «الصورة العميقة» والتي يميّز بينها وبين الصورة الفوتوغرافية، قائلاً: «الصورة، باعتبارها اللسان الطبيعي للمخيلة، لا يمكن أخذها من العالم الحقيقي ولا إعادتها إليه»، في معادل آخر للسوريالية التي تأثّر بها الشاعر، لا سيما في بداياته الشعرية، كما يبرز بوضوح في مجموعته «صمت في حقول الثلج».

لكن مع ذلك فإن شعر بلاي لم يمض في اتجاه واحد ونهائي. في العام ١٩٥٦ سافر بلاي إلى النرويج (والداه من أصل نرويجي) بمنحة أدبية بهدف ترجمة الشعر النرويجي إلى الإنجليزية، وهناك تعرف على الشعر الأوروبي وكما ذكرنا على شعر أمريكا اللاتينية، الذي كان له تأثير كبير على شعره. كما أنه تأثّر بالقصص الشعبية والخرافية والروحية من مختلف ثقافات العالم، وقد كان لاندلاع حرب فيتنام أثر كبير عليه أيضاً، حيث تحوّل من شخص لا يريد كما يقول في إحدى قصائده، سوى الجلوس في غرفته وعدم المشاركة بشيء، إلى ناشط سياسي يشارك في التظاهرات والقراءات الشعرية المناهضة للحرب، وقد شارك عام ١٩٦٦ في تأسيس «كتاب أمريكيين ضد الحرب». كل هذه التأثيرات، إضافة إلى علاقته الحميمة بالطبيعة، نجدها جميعاً حاضرة في لغته وفي صورته الشعرية. ذلك أن «الدخول إلى الذات» والغوص في اللاوعي، أو ترك الذات تقول نفسها وتترجمها إلى صور شعرية جعل شعر بلاي يتفلّت منذ البداية من الكثير من القواعد الشكلية، وعلى رأسها التفعيلة، ليكتب القصيدة الحرة، وليصل في النهاية إلى كتابة قصيدة النثر منطلقاً

من قناعة مفادها بأن قصيدة النثر تمثّل التطور الطبيعي للشعر. حول هذا يقول في مقابلة أجريت معه عام ١٩٩٧ تكشف عن رأيه بقصيدة النثر وعن فلسفته الشعرية بصورة عامة: «ما كان ليكون بودلير متفاجئاً من نهضة قصيدة النثر اليوم، فهو كان يعتقد أنها ستكون الشكل الشعري الرئيس في القرن العشرين، وربما كانت الروزنامة التي وضعها غيام باتيستا فيكو حول المراحل الثقافية التي كان جويس شديد الإعجاب بها، تساعد على تفسير ظهور قصيدة النثر. فقد حدّد فيكو عام ١٧٤٤ ثلاث مراحل للثقافة، تبدأ بـ«الآلهة» وتنتقل إلى «الأبطال»، لتصل أخيراً إلى الأناس العاديين. أي من الثقافة المقدسة، كما في مصر القديمة، إلى الثقافة الأرستقراطية، كما في عصر النهضة، إلى الثقافة الديمقراطية. في المرحلة المقدسة جميع الكلمات هي إشارات والشكل الطبيعي للشعر هو التراتيل الروحية. في الثقافة الإغريقية وإنكلترا عصر النهضة، نجد أن الملوك والملكات والنماذج البطولية، والنظام الطبقي، والشعر الموزون، والتركيب البلاغي، هي المهيمنة. أما في المرحلة الثالثة، أي المرحلة الأفقية، فإن الوزن والبناء والطبقات لم يعد لها وجود، والشكل الطبيعي هو النثر.. ولكن هذا لا يعني أن الجميع عليهم الكتابة وفقاً لهذا الشكل».

ولد بلاي عام ١٩٢٦ في غربي ولاية «منيسوتا». في العام ١٩٤٦ التحق بالخدمة العسكرية لمدة عامين. بعد عام من الدراسة في كلية «سانت أولاف»، انتقل إلى جامعة هارفرد لينضم

هناك إلى مجموعة من الكتاب الذين بات معظمهم معروفين لاحقاً منهم دونالد هال، أدريان ريتش، كنيث كوتش، جون آشبري، هارولد برودكي... وغيرهم. تخرج من هارفرد عام ١٩٥٠ وعاش بضع سنوات في نيويورك، وفي العام ١٩٥٤ التحق بـ«محترف الكتّاب» في جامعة أيوا، مع دبليو سوندغراس ودونالد جاستيس وآخرين. وفي العالم ١٩٥٦ سافر كما أسلفنا إلى النرويج، ليؤسس عند عودته إلى أمريكا مجلة «الخمسينات» التي تعنى بترجمة الآداب المكتوبة بغير اللغة الإنجليزية. في العام ١٩٦٧أصدر مجموعته الشعرية الثانية «هالة الجسد» (١٩٦٧) التي حازت على جائزة «ناشيونال بوك أوورد»، وقد تبرع بقيمة الجائزة المادية للحركة المناهضة لحرب فييتنام التي كان من أشدّ مناهضيها. فترة الثمانينات من القرن العشرين شهدت تطوراً هاماً في حياة روبرت بلاي، حيث أسس في تلك المرحلة «حركة الشعر الأسطوري الذكورية» التي تعرف خطأ باسم «الحركة الذكورية»، والتي تنظّم مؤتمراً سنوياً ومؤتمرات وورش عمل تساعد، بحسب فلسفة هذه الحركة، من خلال الشعر الأسطوري والحكايات الخرافية والأغاني المستقاة من ثقافات العالم كما من أعمال بعض أعضائها ومنهم بلاي، على أن يستعيد الرجل روحه الضائعة ويجد الطمأنينة وسط اضطرابات العصر الحديث.

أصدر بلاي حوالي ثلاثين مجموعة شعرية منها: «إجّاص تركي في أغسطس» (٢٠٠٧)، «التوق إلى السفر مسافات بعيدة» (٢٠٠٥)، «كانت محكوميتي ألف عام من الفرح» (٢٠٠٥)،

«ليلة نادى ابراهيم النجوم» (٢٠٠١)، «التهام عسل الكلمات: قصائد جديدة ومختارة» (١٩٩٩)، «الثلج في شمال المنزل» (١٩٩٩)، «قصائد الصباح» (١٩٩٧)، «تأملات في الروح النهمة» (١٩٩٤)، «ما الذي خسرته بالموت: مجموعة قصائد النثر» (١٩٩٢)، «قصائد مختارة» (١٩٨٦)، «أن تحب امرأة في عالمين» (١٩٨٥)، «قصائد مختارة» «النائمون بأيد مضمومة»، «القفز من السرير».

مثلما كان بلاي مناهضاً لحرب فيتنام فإنه برز أيضاً بمناهضته للحرب الأخيرة على العراق وأصدر في هذا السياق كتاب: «جنون الإمبراطورية: مجموعة قصائد ضد الحرب على العراق» (٢٠٠٤).





أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

من «صمت في حقول الثلج»

(١٩٦٢)


أهم جروبات على تليجرام
باحثون
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

ثلاثة أنواع من المسرّات

I

أحياناً،
إذا مررتَ
بـ «وسكنسن» أو «إلينوي»،
ترى أعمدة الهاتف القاتمة تلك
وهي تقفز تباعاً
لكي تخترق ببطء رمادي السماء،
وتنفتح بعدها
على حقول يكسوها الثلج.

II

تنهمر الظلمة كالثلج
فوق حقول الذرة العارية في «وسكنسن»:
والأشجار السوداء المنثورة
في حقول الشتاء
نرى العشب اليابس وبقايا الزرع،
حيث لم يبق، في أثر الحصّادة[1]، سوى الثلج.

III

من المسرّات أيضاً
أن تدخل إلى شيكاغو مع دنوّ الليل،
وترى صوامع الغلال المضاءة.
ستجد الأشجار العارية
أكثر اختيالاً من أيّ وقت
كرجل برّي يحتضر،
وستجد الحُفر على امتداد الطريق
يكاد يغمرها الثلج.

---

(١) بالأحرى «الحصّادة الدرّاسة» وهي آلة زراعية تحصد وتدرس في آن معاً.

عودة إلى العزلة

I

هذه ليلة عاصفة مقمرة.
القمر حجب درب التبانة.
الغمام بالكاد يتنفّس،
والعشب يثب على الأرض.
هذه ساعة العودة.

II

نريد العودة إلى البحر،
بحر ممرات العزلة،
وردهات الليالي الغامرة،
الحزن ينفجر
غائصاً على بحر الموت،
كنجوم الدب القطبي.

III

ما الذي سنجده حين نعود؟
الأصدقاء وقد تغيروا،
البيوت وقد رحلت،
ربما الأشجار
وقد بدّلت ثوبها.

الاستيقاظ من النوم

سفنٌ حربيةٌ تزحف داخل الأوردة.
انفجارات صغيرة على جبهات الماء،
ونوارس تحوم في ريح الدم المالح.

إنه الصباح.
الريف صحا من سباته الشتويّ.
أفاريز النوافذ امتلأت بجلود الحيوانات،
واحتشد الفناء بالكلاب النافقة
وبالأيدي الحمقاء
التي حملت كتباً ثقيلة.

نغادر الأسرّة إلى الإفطار -
الضباب كثيف والسواري ترتفع
نسمع الصيحات تتعالى من ميناء الدم،
وصخب الأشرعة في الشمس.

نغنّي الآن،
نرقص رقصات صغيرة على أرضية المطبخ.
جسدنا كله أشبه بميناء في الفجر؛
نعرف أن سيّدنا قد تركنا لبقية اليوم.

صيد طيور التَّدْرُج في حقل ذرة

I

ما الذي يضفي مثل هذه الغرابة
على مشهد شجرة
تقفُ وحيدة في حقل مفتوح؟
إنها صفصافة. لا أنفكّ أدور حولها.
جذعها مهشّم بصورة غريبة،
ولا يسعني تركها.
فأجلس أخيراً في ظلّها.

II

صفصافة وحيدة وسط حقل الذرة اليابس.
أوراقها المنثورة حول جذعها وحولي
صارت بنية مبقّعة بسواد رقيق.
ليس من صوت هنا
سوى صوت سيقان الذرة.

III

الشمس باردة تحترق
عبر أمدية الفضاء الجليدي.
الأعشاب البرية تجمّدت حتى الموت من زمن سحيق.
لمَ أحبّ إذاً رؤية الشمس
تعانق جلد الأغصان المصقع؟

IV

بالذاكرة وحدها
بدّلت الشجرة أوراقها طوال سنوات.
منفردة تقف مع كائنات صغيرة قرب جذورها.
أشعر بالجذل في هذا المكان القديم،
في بقعة مكشوفة فوق سيقان الذرة،
كأنني حيوان صغير
يستعد للعودة إلى وكره عند الغسق.

يباغتني المساء

ثمة غبار مجهولٌ يقترب منا،
وأمواج تتكسّر على الشواطئ بُعيدَ التلّ مباشرة،
أشجار محتشدة بطيور لم نرها قطّ،
شباك صيد تجرّها إلى الأسفل أسماك سوداء.

يصلُ المساء؛ نرفع عيوننا
ونراه قد تسلّل من شباك النجوم،
واخترق أنسجة العشب،
وجاء يمشي متهادياً على معاقل الماء.

نحلم بألا ينتهي هذا اليوم:
لدينا شَعرٌ يبدو أنه وُلد من أجل ضوء النهار؛
لكن على الأقل ستنهض مياه الليل الساكنة،
وسيرى جلدنا إلى البعيد،
مثلما يفعل تحت الماء.

التفكير في والاس ستيفنز[1]
في أول يوم مثلج من ديسمبر

هذا الثلج الجديد يحكي القصص
عن عذارى يرفلن بثياب رقيقة نُسجت بخيوط الذهب،
تماماً مثلما يهمسَ الثلج القديم القصص
عن النواطير في عمارات باريس.

هذا الفجر الجديد ينشد الأغنيات
عن شواطئ تترقرق كالسكر بيضاء ناصعة كسحب اليونان،
تماماً مثلما يتغنّى الغسق المتعب
بأمواج الشاطئ الغربي.

---

(١) والاس ستيفنز (١٨٧٩-١٩٥٥): أحد كبار الشعراء الأمريكيين.

هذه القوة الجديدة تهمسُ القصص عن عتمة الموت،
عن قارب صغير ضاع في الكهف العميق،
تماماً مثلما، على متن قاربك الذي يدنو من الموت،
كنت تغني للثلج والطيور.

غروب عند البحيرة

الشمس تغرق. هنا عند الضفة المسكونة بأشباح الصنوبر، بعوض خامل يحلّق في الأرجاء، ويطلّ الطحلب برأسه كأنه يريد أن ينطق. تهبط دعة على البحيرة التي تبدو الآن أثقل وأكثر وحشية. في الأفق البعيد تسيل أسراب البط كعيون مغمضة، وببطء يسير خيط رفيع من الفضة أحدثه شيء غير مرئي باتجاه الشاطئ في الظلمة اللزجة تحت الضفة الجنوبية. فقط بضعة طيور مضطربة تتحدّث إلى قاع الأرض الآخذ بالعتمة؛ أعشاب ضارية صغيرة تقف مهجورة.

ويعاود الطين إرسال هداياه إلى مركز الأرض.

خريف

لأنه أول أحد في موسم صيد طيور التَّدرج، يحتشد الرجال في ضوء السيارات ليوزّعوها، والدجاجات، في ما بينهم. يربضون قرب الضوء، يعتريهم بعض الخوف من الظلمة، يطوفون للمرة الأخيرة حول كوخهم الصغير، الذي تبدو أرضيته الآن بالغة العري.

هبطت ظلمة الغسق، وثمة وميض في الأفق الغربي، كأنه يُرى عبر غراء موقد فحم قديم، وعبر الأبقار عند باب الحظيرة، ينظر المزارع الآن إلى سماء آخذة بالشحوب تذكره بالموت، وفي الحقول عظام الذرة تخشخش خفيفة مع الريح الأخيرة، ويحتل الهلال جنوب السماء.

من الممكن الآن رؤية الأضواء المنبعثة من نوافذ الحظيرة، عبر الأشجار العارية.

شتاء يدنو

I

هذه غيوم سبتمبر –
أول يوم لارتداء المعاطف.
الذرة تتجوّل في ممرات معتمة
بجوار البئر والأضرحة الهامسة.

II

أجلس وحيداً بين الذرة الجافة،
بجوار الحياة الثانية للعشب.
أسمع وريقات الذرة
تحفّ سيقانها بالريح.

III

السنابل الساقطة تملأ الأرض المغبرة.
السنابل المفيدة ستتكوّم جافة في الزريبة،
أما البقية،
تلك التي أغفلها الحصّاد،
فستبقى هنا
لتلامس الأرض طوال الخريف.

IV

سوف يهبط الثلج،
وسوف تكسو قشور السنابل الساقطة
ندفه الرقيقة
الأشبه بجواهر تخصّ أميراً قتل في القرون الوسطى،
وضاعت في غبار المعركة.

قيادة السيارة باتجاه نهر «لاك كي بارل»[1]

I

أقود سيارتي. إنه الغسق في «منيسوتا».
الحقل المحصود يلتقط آخر أشعة الشمس.
فول الصويا يتنفّس من كلّ الجهات.
رجال عجائز يجلسون في السيارات أمام منازلهم
في البلدات الصغيرة. تغمرني السعادة.
القمر يسطع فوق زرائب الديكة.

---

(١) نهر لاك كي بارل: أحد روافد نهر منيسوتا، يبلغ طوله ١٩٠ كيلومتر، ويقع في جنوب غرب ولاية «منيسوتا».

II

عالم السيارة الصغير
يغوص في حقول الليل العميقة،
في الطريق من «ويلمار» إلى «ميلانو»[1].
تطوف هذه العزلة الحديدية
حقول الليل
لا يخترقها سوى ضجيج الجداجد.

---

(١) ويلمار وميلانو: بلدتان تقعان في منيسوتا، وليس المقصود ميلانو الإيطالية.

III

أرى فجأة، بالقرب من «ميلانو»، جسراً صغيراً،
ومياهاً راكدة تحت ضوء القمر.
في البلدات الصغيرة البيوت قائمة بمستوى الأرض تماماً؛
وضوء المصباح يسقط على جهات العشب الأربع.
حين أصل إلى النهر أجده ملتحفاً القمر،
وأجد بضعة أشخاص يتسامرون همساً
على متن قارب.

قصيدة من ثلاثة مقاطع

I

آه،

في الصباح الباكر،

أحسبني سأحيا إلى الأبد!

ألتحف غبطة جسدي،

بينما يلتحف العشب

غيومه الخضراء.

II

ناهضاً من السرير
حيث حلمت بنزهات طويلة
في قصور ومناجم حارة،
تجثو لي الشمس جذلة؛
ها قد كابدتُ الليل ونجوت
استحممت بمياه معتمة كنصل عشبة.

III

وريقات شجرة البيسلان القوية،
تغوص في الريح،
تدعونا إلى الاختفاء
في براري الكون،
حيث سنستوطن ساق نبتة،
ونحيا إلى الأبد،
كالغبار.

اضطراب

ثمة اضطراب غريب يحوم فوق الأمة:
هذه هي الرقصة الأخيرة،
الهجوم الأخير للجياد الأمريكية[1]،
الفرصة الأخيرة لاقتناص الغنائم.
البلادة تخترق الجسد الصلب كالألماس.
في المدرسة الثانوية يبدأ الانفجار،
ويقتل الطفل جزئياً،
وحين ينتهي القتال،
وبعد خراب البرّ والبحر،
ينهض فينا جسدان وبعيداً يمضيان.

---

(١) في الأصل فرس الميرغني الأمريكي.

لكن الربّاح[1] يصفِرُ على شواطئ الموت-
يرشق البندق والحصى،
قافزاً على شجرة تحمل أغصانها فضاءات البرد،
ودوران الكواكب والشمس السوداء،
صراخ الحشرات وصغار العبيد
في سجون اللحاء:
يا شارلمان[2] إننا ندنو من جزرك!

إلى أشجار الثلج نعود،
إلى أعماق الظلمة المدفونة في الثلج،
التي كنتَ تجتازها طوال الليل بيدين متخشّبتين.
الآن تهبط الظلمة التي فيها ننام ونصحو -
ظلمة يرتجف فيها اللصوص،

---

(١) الربّاح أو البابون الإفريقي: سعدان ضخم قصير الذيل.
(٢) شارلمان (٧٤٢- ٨١٤) هو ملك الفرنكيين حاكم الإمبراطورية الكارولينجيه بين عامي (٧٦٨- ٨٠٠) وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة بين عامي (٨٠٠- ٨١٤).

ويتوق المجانين للثلج،
ويحلم الصيارفة
بأن يدفنوا تحت حجارة سوداء،
ويركع رجال الأعمال
في أقبية النوم.

يقظة

ندنو من النوم:
كستناء الرأس يمتزج بأفكار الألم
ومرة هي جذور الشعير الطويلة
كأن جذور البلوط تلطّخ المياه بالظلمة.
شوارع «لويزيانا» تتفتّح تحت المطر
ونخرج من هناك
مثل نفق يندفع برقّة إلى العتمة.

سوف تأتي العاصفة.
وتلك المزرعة الصغيرة في «منيسوتا»
لن تصمد في وجهها.
إنها الظلمةُ. ظلمةُ العشب، ظلمة الشجر.
وحتى المياه ترتعش في الآبار.

ثمة أجساد تبثُّ الظلمة،
وقد اسودّ زهر الأقحوان
وكذلك الجياد التي تحمل التبن
إلى الحظائر العميقة
حيث يفرّ الهواء الأسود من الزوايا.

تمثال لنكولن وزحمة السير.
من الماضي الطويل
إلى الحاضر الطويل
طائر منسي يشدو،
بينما تدور العجلة الهائلة
طاحنة كلّ حيّ في المياه.

تيارات متواصلة
في مياه لطّختها البراعم وجذوع الأشجار المتعفنة،
ومن أعماق الأرض،
تعلو الصرخة المكتومة،
صرخة الأحياء الذين، أخيراً، أيقظهم الموتى.

قصيدة ضدّ الأثرياء

كل يوم أعيش،
كل يوم ينهض بحر الضوء،
يبدو أنني أرى الدمعة في الحجر
كأنما عيناي تحدّقان تحت الأرض.
الثريّ بقبعته الحمراء
لا يمكنه سماع البكاء
في قرى الزنبق،
أو الدموع القاتمة في أكواخ الذرة.
كل يوم ينهض بحر الضوء
أسمع الصليل المحزن للجيوش السوداء،
حيث كل رجل يبكي،
وحيث صلوات الشواهد الكئيبة.

الشواهد تنحني حين تمرّ الجيوش.

قصيدة ضد الاستعمار البريطاني

I

حفيف الريح في شجرة القيقب
أشبه بنزهة في الغسق على فرس بيضاء،
أشبه بأن تخوض الحروب في سبيل بلدك،
أن تقاتل البريطانيين.

II

أتساءل ما إذا أصغى واشنطن إلى حفيف الأشجار.
طوال الصباح جلست على العشب،
أعلى من عينيّ، تحت الأشجار،
مصغياً إلى حفيف وريقات الشجر في الريح.
فجأة أدركت وجود ريح أخرى:
تلك التي حفيفها في أعالي العشب.

III

ثمة قصور ومراكب،
ثمة صمت في المباني البيضاء،
في المشروبات الباردة أو في أعالي الرخام
بين الغرف الباردة؛
من الحسن أيضاً أن تكون فقيراً
وتصغي إلى صوت الريح.

حين تذكّرت في أوسلو الصورة القديمة للماجنا كارتا[1]

الفتاة بالثوب المنزلي التي تفتح النافذة
هي أيضاً الملك السمين الجالس تحت شجرة بلوط،
وهي أيضاً الزبالون الذين يطرطقون على الصفائح المعدنية،
والغربان التي ما زالت تنعب.
والنبلاء الذين يعرضون الوثيقة على الملك.
وكل شيء يمكن أن يكون شيئاً آخر،
والسفن الحربية المحملة بالحلى تطوف الساحل،

---

(١) الماجنا كارتا أو الميثاق الأعظم: وثيقة لضمان الحقوق الأساسية، صدرت عام ١٢١٥ كعهد بين الملك الإنجليزي جون ونبلاء إنجلترا ويقضي بتخلي الملك عن بعض الحقوق واحترام بعض الإجراءات القانونية. ويعتبر بداية العملية التي نشأت عنها الدساتير الحديثة التي تحكم عمل الدول.

وما زالت تبحر في براعم الأشجار
في رحلتها الطويلة من إسبانيا؛
وأنا أيضاً ما زلت أكوّم الحبوب،
مثلما كنت أفعل صبياً،
وقد أعياني التعب،
بينما جدي الأعظم ينطلق في سفينته.

«منيسوتا»

I

بعد يوم عاصف
تتدفّق المياه الحارة الموحلة
أسفل جسر «لويزبورغ»[1]
تحت طيور السنونو الهائجة،
وها نحن نمضي ظهراً
في حقول فول الصويا والفِصفِصه[2]،
إلى المزرعة التي تجثم أرضاً
كدخان أخضر سميك.

---

(١) لويزبورغ: مدينة صغيرة في ولاية منيسوتا.
(٢) نوع من النبات.

II

أجنحة سنونو تخفق في داخلي،
طيور تحلّق في الدخان،
وجياد تخترق حقولاً قصيرة العشب.

III

بيد أننا نسقط،
نسقط في أفواه العتمة المفتوحة،
في «الكونغو»
كما لو في نهر،
أو كما يسقط القمح
في أفواه المطاحن.

برفقة نسوة شاحبات في «مريلاند»

برفقة نسوة شاحبات
نجتاز مراعي «مريلاند» المأسوية،
مذهولين بالثمار الضخمة
على الأشجار الغريبة،
مفتونين كالذين سبقونا
بفائض الحب على امتداد خليج «شيسابيك»،
نمرّ بمخازن التبغ،
ونعبر حيواتنا القاتمة
وكالذين سبقونا
ننتقل إلى الموت الحبيب
برفقة نسوة «مريلاند» الشاحبات.

خلال عبور «أوهايو»

I

في «دلوير»، أوهايو،
تلك المدينة الناعسة،
مدينة السنديان والخراف والمروج،
نبيت ليلتنا في فندق سياحي أبيض
تحتشد طاولاته بمجلات «ناشيونال جيوغرافيكس».

II

شمال كولومبس[1] ثمة نوع من الفرح الخدر:
ذلك النهر البطيء الموحل،
وتلك الحظائر البيضاء المتكئة على الأرض،
وأشجار الحور التي طليت جذوعها بالأبيض،
والمنازل التي تعلو سطوحها مراصد صغيرة،
كما لو أن أوهايو أرملة الساحل
تطلّ على الأطلسي الخطير.

---

(١) عاصمة ولاية أوهايو.

III

نمرّ شمالاً بالمقابر البيضاء
المفعمة بهواء الصباح!
أستشعر الموت طوال الصباح؛
إنني مفعم بالحب،
وأعرف أنني سأرجع يوماً،
لكي أقطن ثانية هذه الأرض الناعسة،
مسقط رأس هاردنغ[١].

(١) وارن هاردنغ (١٨٦٥- ١٩٢٣): الرئيس التاسع والعشرون للولايات المتحدة الأميركية.

في جنازة العمة ماري الكبيرة

I

ها قد جئنا بكامل أناقتنا إجلالاً للموت!
لا، ليس للموت،
بل لهذه السيدة العجوز
التي ولدت في «بلينغهام»[1].

(١) بلينغهام: بلدة في شمال شرق واشنطن، تقع على خليج بالقرب من الحدود الكندية.

II

نوافذ الكنيسة مفتوحة على الأشجار الخضراء.
يخبرنا الكاهن أنه يجدر بنا،
بوصفنا أولاد الرب،
أن نبتهج بالموت،
لأننا نمضي إلى القصور المشيّدة
من أسس العالم.
مستحيل. لا أحد يصدّق ذلك.

III

هناك في الحقل العاري،
على الجسد الضئيل أن ينتظر حتى الغسق.
ليهبط بعد ذلك
إلى الأرض الرملية الحارة.

على العبّارة في خليـج "شيسابيك"

على بستان البحر يمتدّ الموج المزبد،
تلك المياه التي تجيبُ عن أسئلة لم يطرحها أحد،
أولئك المتكلمون الصامتون نيابة عن القبر؛
بعد أن أنجزت لاشيء، أسافر إلى مكان آخر؛
آه، أيها البحر الأخضر العميق،
ليس من أجلك يغوص هذا الجسد في الموت؛
ليس من أجل أزاهير البحر الغريبة
أخوض في خليج «شيسابيك»؛
ولكن ربما تشفي اختلاجاتك الجسد؛
إذ مع أن الجسد لا يمكنه السير قدماً
صادحاً بأبواقه الذهبية، فإنّ عليه أن يتابع رحلته،
ويعطي البحر جوابه
بينما يسقط في ذاته.

الذهاب متأخراً إلى البلدة لوضع رسالة في البريد

ليلة باردة ومثلجة.
الشارع الرئيسي مهجور.
وحده الثلج يتحرّك.
بينما أفتح علبة البريد، أحسّ حديدها البارد.
يا لروعة الليالي المثلجة.
سأقود سيارتي في الأرجاء
وأبدّد المزيد من الوقت.

يوم في حياتي في نهاية الربيع

صمت يحوم فوق الأرض:
العشب ينهض قليلاً في القيظ
كجناح طائر قديم.
حصان يحدّق فيّ بثبات.

قصيدة حب

حين نكون مغرمين نحبّ العشب
والحظائر وأعمدة الإنارة،
والشوارع الصغيرة
المهجورة طوال الليل.

إمساك اليدين

حين تمسك يدي من تحب،
ترى الأقفاص الدقيقة...
عصافير صغيرة تشدو
في الغابات المعزولة
وفي براري اليد العميقة.

في وقت متأخر ليلاً في الغابات

I

الجسد شجرة بتولا
تواجه في نوفمبر القمر المكتمل
محاولة بلوغ السماوات الباردة.
لا طموح في تلك الأشجار،
لا جسد بليداً، ولا أوراق،
لا شيء سوى السيقان العارية
تتسلق كنيران باردة!

II

آن وقت نزهتي الأخيرة بين الأشجار.
عند الفجر
عليّ العودة إلى الحقول المليئة بالفخاخ،
إلى الأرض الطيعة.
على الأشجار أن تصل تباعاً
طوال الشتاء.

III

هذه فرحة السير في الغابات العارية.
شعاع القمر لا تكسره الأوراق الثقيلة.
الأوراق تنحدر وتلامس الأرض المبللة،
وتطلق العطر الذي يعشقه الحجل.

إرواء الحصان

كم غريب التفكير بالتخلي عن كل طموح!
فجأة أرى بعينين صافيتين
ندف الثلج البيضاء
التي للتوّ سقطت على عرف الحصان.

قطار

كان ثلج خفيف.

آثار سيارة تتحرك خارج العتمة.

أحدّق من نافذة القطار المكسوة بغبار ناعم.

أستيقظ في ميسولا، مونتانا، سعيداً بالمطلق.

بعد العمل

I

بعد بضع أفكار غريبة،
أفكار عن موانئ بعيدة، وحياة جديدة،
دخلت ووجدت ضوء القمر
مستلقياً على أرضية الغرفة.

II

في الخارج، كصوت نقيّ
رنين أجراس الأبراج يكسو الأشجار،
أو المياه تتحرك تحت الجليد،
صوت الصم الذين يسمعون عبر عظام رؤوسهم.

III

نعرف الطريق؛
شعاع القمر يرفع كل شيء،
في ليلة كهذه
يمضي الطريق قدماً،
وكلّ شيء واضح.

هواء أكتوبر النقي

أرى في الخارج أجنحة ذهبية تحلّق بغير طيور،
وآبار المياه الباردة ترتفع ثمانين قدماً بغير جدران،
أحسّ غناء الجداجد يحملها إلى السماء.
أعرف أن تلك الظلال الباردة
تسقط على بعد مئات الأميال
عابرة مروج بلدات صغيرة،
وأبواب كنائس كاثوليكية؛
أعرف أن جواد الظلمة
يعدو مسرعاً إلى الشرق،
حاملاً رجلاً هزيلاً بلا معطف.
وأعرف أن الشمس تمعن في الغرق
كجلاد بشفرة ضخمة يمشي على السقف

والحيوانات الذهبية:
الأسود، وحصان الوحش، وطيور التدرج،
تربض أعلى السلالم
ناظرة بعيون اللصوص.

كسل وصمت

I

بعد ظهيرة يوم سبت في موسم كرة القدم،
أضطجع على سرير بجوار البحيرة،
وأحلم بخلدان ذهبية الأجنحة.

بينما تضطرب المياه العميقة على السقف،
كذيل طائر غاضب،
أرى الغبار يطفو بدعة فوق السرير.

أتخيّل سفناً تغادر موانئ مستوحدة،
دلافين تلعبُ في عرض البحر،
أسماكاً لها وجوه عجائز يحتمون من عاصفة ثلجية.

II

لا ضرر في أن نحلم بخلدان ذهبية الأجنحة
هذا أشبه بتخيّل الشلالات الصخرية في أعماق الجبال،
أو جناح يحلق وحده تحت الأرض.

أعرف أنه بعيداً في بحيرة «منيسوتا»
تتحسّس الأسماك فتحات الينابيع الباردة،
التي تجعّد مياهها التراب الهاجع،
كروح تتحرك في جسد.

إنه بعد ظهر يوم سبت. الحشود تتجمّع،
تدفئها الشمس، والهواء النقي.
فكّرت في هذا الخلد الغريب هذا الصباح.
بعد النوم طوال الليل عند البحيرة.

ليلٌ في سبتمبر مع حصان عجوز

I

اللیلة اجتزت على حصاني
حقل الذرة تحت ضوء القمر!
كان العشب الذاوي ساكناً ينتظر الشتاء،
وكانت الأعشاب الضارية السوداء تنتظر
كأنما تحت الماء...

II

في الجزيرة العربية تعيش الخيول في الخيم،
إلى جوار ذهب أسود، ومياه، وأضرحة.

III

كم رائع
أن تمشي
في منتصف الليل
على ضوء القمر
حالماً بالحيوانات.

ليل

I

إذا تخيّلتُ حصاناً يطوف طوال الليل مؤرقاً
هذا العشب القصير المغطى بضوء القمر،
تغمرني الفرحة كأنني أتخيّل
سفينة قراصنة تشق طريقها
عبر زهور سوداء.

II

شجرات البقس حولنا منتشية،
تذعن لما تحتها،
الليلك نائم، والنباتات نائمة،
وحتى الخشب الذي صار تابوتاً.

III

الفراشة تحمل الطين على جناحيها؛
العلجوم يحمل شذرات من الغرانيت على جلده؛
الأوراق في أعالي الأشجار غافية
كشذرات التربة السوداء على جذرها.

IV

أحياء نخوض، كالخنافس المائية،
في المياه الساكنة
نسلك أيّ اتجاه نشاء،
وعمّا قريب تبتلعنا الأرض.

بعد الشرب طوال الليل مع صديق
نخرج فجراً على متن قارب لنرى
من يمكنه كتابة القصيدة الأجمل

هذه الصنوبرات، هذه السنديانات الخريفية، هذه الصخور،
هذه المياه المظلمة التي تلامسها الريح -
مثلك أنا أيها القارب الأسود،
تجرفني المياه الآتية من الينابيع باردة.

تحت المياه، مذ كنت صبياً،
حلمت بكنوز غريبة وسرّية،
لم أحلم بالذهب، أو الأحجار الغريبة،
بل بالنعمة الأصلية، تحت بحيرات «منيسوتا» الباهتة.

هذا الصباح أيضاً، تجرني رياح الفجر،
أحسّ يدي، وحذائي، وهذا الحبر...
تسيل، كما هذا الجسد كله،
فوق غيوم اللحم والحجر.

صداقات قليلة، صباحات قليلة، وبعض لمحات العشب،
بعض المجاذيف تقاوم الثلج والحرارة،
لذا ننجرف إلى الشاطئ، على المياه الباردة،
غير مبالين إذا ما حملتنا الرياح أو مضينا قدماً.

ألواح الخشب القديمة

I

أحب رؤية ألواح الخشب مطروحة على الأرض في أول
الربيع.
الأرض تحتها مبللة موحلة -
وربما مكسوة بآثار الدجاج -
وهي جافة وأبدية.

II

هذه هي الأخشاب التي يراها المرء على أسطح السفن،
التي تحملنا بعيداً عن الأرض،
مع شيء جاف استعمل لمهمات بسيطة،
كذيل حصان.

III

أخشاب تشبه حياة رجل بسيط
يعبر الربيع والشتاء على سفينة رغبته الخاصة.
يقعد على الخشب الجاف محاطاً بثلج نصف ذائب
بينما الديك يبتعد، منتشياً بالربيع، على التبن الرطب.

في وقت متأخر ليلاً خلال زيارة الأصدقاء

I

نمضي اليوم في الصيد والكلام.
أخيراً، في وقت متأخر ليلاً، أجلس وحيداً إلى مكتبي،
ثم أقف وأمشي في الليل الصيفي.
شيء قاتم يثب قربي على العشب.

II

كانت الأشجار تتنفّس، والطاحونة الهوائية ببطء تدور.
فوقنا الغيوم التي أمطرت على «أورتونفيل»[١]
حجبت نصف النجوم.
كان الهواء ما زال بارداً بعد المطر.

III

الوقت متأخر جداً.
أنا الوحيد المستيقظ.
الرجال والنساء الذين أحبهم
ينامون على مقربة.

---

(١) - أورتونفيل: بلدة في «منيسوتا».

IV

يتوهّج الوجه البشري
حين يتحدّث عن أشياء حميمة
وعن أفكار مليئة بالأحلام.
يلتمع الوجه البشري
كسماء سوداء
حين يتحدّث عن تلك الأشياء
التي تحزن الأحياء.

صمت

جاء الشتاء نقياً كعيون الدجاج.
أصوات مكتومة غريبة جاءت من البحر،
أصوات مجاذيف مكتومة،
وخوض في خلجان وحيدة،
أمواج تتكسّر على شواطئ غير مسيحية،
وانجراف قواقع البزاق على الحصى المنساب.

جسدي أيضاً يجول بين تلك السيارات وعتبات المنازل
أبري قلماً أو أهبط سلماً
حاملاً فنجاناً في يدي،
ولا أنكسر على الأعشاب التي تحت الشمس.
هذا كسل الرجل داخل الجسد،
كسل الجسد الضائع بين حجارة الدعة المتنقّلة.

شيء متشرّد ينظر على الطرقات الطويلة
كلب ضاع منذ منتصف الليل،
بطة صغيرة بين القصب الفوّاح،
أو حشرة تبحث عن زجاج النافذة،
تتحرّك طوال الليل
كصائد لؤلؤ بين الأغصان العارية
يتمدّد صامتاً على الأرض.

هطول الثلج عصراً

I

العشب نصف مغطى بالثلج.
كان ذلك النوع من الثلج الذي يهطل عصراً
والآن تعتم منازل العشب الصغيرة.

II

إذا مددت يدي إلى الأرض
يسعني أن أحمل قبضة من العتمة!
كانت ظلمة خفية عنا، دوماً هناك.

III

بينما يصير الثلج أثقل،
تتلاشى سويقات الذرة،
وتدنو صوامع الغلال من البيت.
الصوامع تتحرّك وحدها في العاصفة.

IV

صوامع الغلال امتلأت بالذرة وتتحرّك باتجاهنا،
كسفينة بطيئة قذفتها نحونا عاصفة بحرية؛
جميع البحارة عميان من سنوات.

من «هالة الجسد» (١٩٦٧)

موتُ المدير

بات التجار أكثر من نجوم السماوات.
نصف السكان أشبه بجنادب طويلة
تنام في الأجمات في الطقس المعتدل؛
أصوات أجنحتهم تسمع ظهراً، مكتومة، على مقربة من الأرض.
سائق الرافعة يموت؛ سائق سيارة الأجرة يموت،
يسقط في سيارته.
في الأثناء في الجو، يمشي مدير
على أرضيات باردة،
وفجأة يسقط. محتضراً،
يحلم أنه ضائع في جبل محاصر بالثلوج
حيث تحطّمت طائرته، وحملت ليلاً بآلات عملاقة.
بينما يضطجع محتضراً على السفح الشتوي،

مقطوعاً عن العالم،
شجرة صنوبر مهشّمة تحدّثه عن غوته والمسيح.
يصل الموظفون إلى «هارتفورد» عند المساء كالخلدان،
أو الأرانب الوحشية التي تحلق من النيران خلفهم،
والغسق في «هارتفورد» يمتلئ بتنهداتهم.
القطارات تعبر الهواء كموسيقى سوداء،
مثل النفير، صوت آلاف الأجنحة الصغيرة.

مشاهدة التلفزيون

الأصوات أعلى مما تحتمله الأذن،
في خلايا الجسد صدى نباح؛
سرعان ما ستحتشد الشوارع الداخلية بكورس من النباح.

نرى البرّ يقترب رويداً،
السيارة السوداء تتوقف،
القاتل الطهراني يطلق أسلحته.

كلاب برية تنهش الأنوف والعيون
وتعدو بها في الشارع،
الجسد يقتلع ذراعيه ويرميهما في الهواء.

التحرّي يجذب انتباه خمسة وخمسين مليون شخص في
مسدسه،
ممن ينامون مسترخين كما في غارة جوية على لندن؛
ظهورهم تتقوّس في العتمة المائلة.

خيوط الروح تفكّ تدريجياً؛
الأرواح تنكسر، غيمة من الغبار تطفو عالياً؛
مثل بيت في «نبراسكا» ينفجر فجأة.

حلم اختناق

محاسبون يحومون فوق الأرض كطائرات هليكوبتر،
يرمون قصاصات ورق نقش عليها اسم هيغل.
حيوانات ابن عرس تخبئ القصاصات في فرائها
وتحملها إلى وكرها،
حيث تموت العائلة كلها خلال الليل.

فتاة الكورس تقف ساعات وراء الستارة
ناظرة إلى الشارع في الخارج.
من نافذة شاحنة زراعية
يمتد غصن طلي بالأبيض.
تمساح صغير محشو
يتشبّث بقوة بهذا الغصن
لكي يبقى بمنأى عن الأوراق الجافة على الأرض.

أقراص العسل يراودها ليلاً حلم غريب:
قطارات سوداء صغيرة تدور بلا توقف.
سفن حربية قديمة تغرق في قطرة مطر.

مهدّد من العالم الخارجي

هذه الحرقة في العينين بينما نفتح الباب،
ليست إلا الجسد وقد أثقلته أوراق الشجر،
الجلد الداكن، ثقيل مثل عشب نوفمبر،
ينمو بعناد، منتصراً حتى في منتصف الليل.

ويوم آخر يختفي في الجرف،
ويأتي الإسكيمو لكي يحيوه بصرخات حادة...
المياه السوداء تعلو فوق الثقب الجديد.
القبر يتحرك قدماً من فخه،

الانتقال إلى الهضاب على قدمين سوداوين،
العيش في الريف،
ترك الكلاب والخراف تذبح حيث تنام؛
شيء يلمع في الداخل، قد خدمنا جيداً
يهزّ قضبان الخيزران...
ربما يكون ذهب قبل أن نصحو...

الانتقال أخيراً إلى الداخل

الثور المحتضر ينزف في الجبل!
لكن داخل الجبل، غير ملموسة بالدم،
ثمة قرون وعول، بعض لحاء السنديان،
نار، وبعض الأعشاب المهملة.

حين يلمس الدخان سقف الكهف،
تشتعل الأوراق الخضراء،
يتبدّل هواء الليل إلى مياه سوداء،
ويستحيل الجبل بحراً.

تعالوا معي

تعالوا معي إلى تلك الأشياء الغارقة في اليأس منذ أمد
بعيد-
عجلات «الشيفروليه» تلك التي رُميت تعوي بتوحّد
رهيب،
مستلقية على ظهرها على الطين المتحجّر، مثل رجال
ثملين وعراة، يترنّحون على هضبة ليلاً لكي يغرقوا أخيراً
في بحيرة.
تلك الإطارات الداخلية الممزقة المهجورة على كتف
الطريق العام،
أجساد سوداء مترهلة، حاولت وانفجرت، وتركت في
الخلف؛
وتلك القطع الفولاذية المتجعّدة، المتبعثرة على نضد
المرأب،

أحياناً نجدها ما زالت حارة، رملية حين نلمسها،
نحن الذين يئسنا، وألقينا اللوم كله على الحكومة.
وتلك الطرقات في جنوبي داكوتا
التي تتحسّس طريقها في العتمة...

الارتقاء من السمكة

حفيد الأسماك هذا يحمل في داخله
مئة ألف حصاة سوداء.
ابن أخ الحلزون هذا، طوله ستة أقدام،
ويستلقي عارياً على السرير بجانب امرأة تبتسم،
رأسه يطارد الضوء تحت الرخام،
إنه يمضي قدماً نحو حياته
كالفرو الذي يمشي.
وحين يأتي الجليد، يصيرفرواً، فرو ماموث،
يصير أطول وأكثر رقة، يمرّ بمهجع المرأة،
يقبّل معدة، يستند إلى عامود،
يمضي نحو الحيوان، الحيوان ذو الرأس الفروي.

يا لمتعة تحسّس جلد مولود جديد!
مثل عشب جديد! وهذا الرجل الطويل مع التلميذة،
أكواب القهوة، خصرها الناحل، الروح تتحرّك حولهما،
تتحرّك جارّة ذيلاً عظيماً إلى العتمة.
في العتمة نشتعل، نرسم صور أسماك شوكية،
نرشق حجارة بيضاء!
تنهض الأفاعي من قاع المحيط بحركات حلزونية،
رجل يدخل إلى جوهرة وينام.
لا تمسكوا يدي،
دعوني أرفعهما.
ثمة نار ترتفع من أخمص قدميّ!

أولئك الذين التهمتهم أمريكا

هذه صرخة أولئك الذين التهمتهم أمريكا،
أما الآخرون، الضعفاء الليّنون، فتمّ تخزينهم لوقت لاحق

ويقال إن جيفرسون(١)
كان يرى الأمل في الشوفان الجديد

اليوت البرية تمضي قدماً
بشعور طويلة تنمو بين أصابع أقدامها
أما الأقدام فتنهض ليلاً
وتعدو بمفردها على طرقات بيضاء طويلة

---

(١) توماس جيفرسون (١٧٤٣-١٨٢٦) الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية.

السدود تعكس نفسها
وتريد أن تقف وحيدة في الصحراء
القساوسة يغطسون الرؤوس أولاً إلى الأرض
اللحم شاحب
ينشر الإحساس بالذنب في لغات جديدة

لهذا السبب تلك القصائد بالغة الحزن؛
الموتى الطوال يركضون في الحقول.

القدّاس يغرق.
الضوء في وجوه الأطفال
يختفي عند السادسة أو السابعة

وعما قريب يتشظّى العالم
إلى مستعمرات صغيرة من الناجين.

المجتمع العظيم

يواظب أطباء الأسنان
على إرواء حدائقهم حتى في المطر:
أذرع تطوّرت بجهد عظيم بذلته القردة،
تتدلى من أكمام المبشّرين؛
هنالك ملوك مقتولون في اللمبات خارج صالات السينما:
توابيت الفقراء غارقة في السبات
في أكوام من العجلات الجديدة.

حارس البناية قلقٌ بشأن المرجل،
وحاجب الفندق يخلط أوراق الجنون.
الرئيس يحلم بغزو كوبا.
الشجيرات تغطي الشوايات في الهواء الطلق،
وثمة كروم فوق اليخوت والمقاعد الجلدية.

المدينة تقبع فوق صفائح الرماد والقذائف المسودّة،
على الشاطئ البعيد، في «كوني أيلند»،
أطفال سمرٌ يلهون على الشاطئ البارد:
طحلب أسود، أصداف، سماء مليئة بالطيور،
بينما يجلس العمدة
واضعاً رأسه بين يديه.

من «التهام عسل الكلمات:
قصائد جديدة ومختارة» (١٩٨٦)

رجل وامرأة يجلسان جنباً إلى جنب

رجل وامرأة يجلسان جنباً إلى جنب.
لا يحلمان بأن يكونا أكبر أو أصغر سناً،
ولا بأن يكونا قد ولدا في مكان وزمن آخرين.
يكفيهما وضعهما الحالي،
يكفيهما الجلوس هكذا، متكلّمين أو صامتين.
لكن أنفاسهما تقوتُ شخصاً لا نعرفه.
الرجل يتأمل حركة أصابعه،
ويرى أصابعها على حافة كتاب تناوله إياه.
إنهما غافلان عن وجود شخص ثالث
يتشاركان وجوده
رغم أنهما تعهدا بأن يحبا هذا الشخص.

قد يأتي العوز، وقد تفرقهما الحياة أو الموت.
رجل وامرأة يجلسان جنباً إلى جنب،
أنفاسهما تقوتُ شخصاً لا نعرفه،
أو ربما نعرفه، لكننا لم نره أبداً.

أين ينبغي أن نطلب العون

الحمامة ترجع: لم تجد عشّها.
قد حلّقت طوال الليل فوق البحور المتلاطمة؛
وتحت أفاريز الفلك
ستوسّع سرير النمر؛
أعطوها سلاماً.
طيور السنونو سترجع.
وفي اليوم الثالث سيطير الغراب؛
الغراب، الغراب، الغراب الملوّن كعنكبوت،
سيجد طيناً جديداً يمشي عليه.

ان تحملني الرياح

رياح باردة فوق حقل الذرة؛
أسراب من الطيور السود تغمر ذاك المحيط.
أريد أن أكون في تلك القفار،
أن أعيش في أي مكان في الريح.

أستند إلى جدار سقيفة
حيث لا أحد يراني.
أتأمّل وريقات القيقب
تتمايل فوق هذه المياه السرّية.

ما الذي أريده؟ ليس المال،
ولا مكتباً كبيراً، ولا بيتاً بعشر غرف.
هذا ما أريده: أن أجلس هناك،
ألا أشارك بشيء، في انتظار أن تحملني الرياح.

حين تزهر نبتة عود الصليب

حين أكون بجوار زهرة عود الصليب الحمراء
أرتعش كما يرتعش الماء بجوار العاصفة،
كما يرتعش البئر حين يتحرّك باطن الأرض،
أو الشجرة حين يطير منها خمسون عصفور دفعة واحدة.

تقول زهرة عود الصليب أننا حصلنا على النعمة،
وهي ليست من هذا العالم.
وراء وريقات زهرة عود الصليب
ثمة عالم أكثر عتمة، يقتات منه الكثيرون.

الباب المسحور

يمضي الرجال والنساء ثانية واحدة في الجنة
قبل أن يهبطوا الباب المسحور ويصيروا سادة الضلال؛
أطفال الكناغر تحملنا بعيداً في جيوبها الصغيرة.

لنسبّح جميعاً للقدّيسين الذين بغير قداسة.
لم على عائلة الدجاج أن تمجّد المبرد؟
لمَ على المياه مساعدة حجر الشحذ أيضاً.

جدران شِعري مصبوغة بالدم.
لا أريد أن أكون داخلياً. كل يوم يفرّ ألف فأر
من بيتي إلى بيت «تنيسون»[1].

---

(١) الشاعر الإنكليزي ألفرد تنيسون (١٨٠٩-١٨٩٢).

عرب واسعو العيون كدحوا طوال الليل
لكي يترجموا ألواح الخيميائيين.
ثم صار في وسعهم انتزاع الزئبق من ركب الريح.

حين كان جبير في الرابعة عشرة
تمكّن من ترتيب الأصوات لتصير مقدّسة. أيها الأصدقاء،
كل يوم أزحف وأقبّل بعض كتبي.

لأن العشاق تمّ نفيهم
إلى العدم في حقول البصل
يصحو المتشرّد عازفاً ناي الامتنان.

الحب عن بعد

توّاقون إلى الطين على ضفاف الأنهار
إلى الأرض السوداء حول الجزر.
حين تحدّث جيوفري رودل عن الحب عن بعد
كان يحمّم رأسه بدم الأسد.
لم يكن مولعاً إلى هذا الحد بالحرية! صرخ:
«أريد أن أكون أسيراً لدى العرب!».

للحمامة النائحة أجمل الأسماء؛ نداؤها
العابر ينبعث من الأبدية على غصن رفيع من رماد؛
والأم تحاول الوصول إلى ابنها بصمت.
ما أن لمحت الحمامة الوجه،
حتى ضرب نبات «الخبيز» جذوره في الأرض.

وحدها المحارات المغروسة عميقاً تحمل اللؤلؤ.
السباحون الذين يغطسون في البحيرة
يرون شعاع الشمس يقتل ثيران الماء.
انحنى يوسف ليتنفّس حين وضعه الغرباء في البئر:
«اصرخ حين تلمس رجلك القاع! ستتبع
الفقاعات إلى حيث مكانك».

حتى تحت الجلد
يمكننا سماع نواح الحمامة.

مهد موسى

زوجات فرعون يمشين على الطين بأطراف الأصابع.
نطوف معاً، صديقين عزيزين، في مهد موسى،
لا يفصلنا سوى جلد رفيع عن مجهول النيل.

الأشباح تكوّن نفسها من الضباب الأرضي.
أرواحنا رطبة بطبيعتها. «الأرواح الجافة هي الأفضل»
كما قال أفلاطون، لكنه كان مربياً في الحادية عشرة.

بعض الأطفال يسمعون صوت الموتى الرفيع.
الرجال يفكّكون أسراراً مخبوءة في الأعداد الأولية.
النساء يخبرن ما أمرتهن الأبدية بقوله.

مهدنا، كمهد موسى، تنفذ إليه مياه النيل.
لم نحظ بيوم كامل من الضوء.
عند الثالثة سيتصدّع جدار، أو سيموت أرنب بري.

وصل الجمال إلينا مغمّساً بدم الولادة.
بينما عيناه مفتوحتان، دمه الناصع يملأ الأرض.
سقوط الطفل يمنحنا طعم الحرب.

بعض الأرواح يتذكّر جيداً، يتسلّق عالياً جداً
ويتذكر إلى الأبد. لكن ماكبث سقط على بعد ألف ميل
حين لمست ريشةٌ وجهه.

كالديرون[1]

كل خلد وابن عرس ما هو إلا ظل تقذفه الشمس.
كل فأر وقنفذ ما هو إلا ظل.
لذلك تستطيع جميعها الاختباء في أوراق الشجر.

لا تعزّني بوضع الزهور في غرفتي.
لا تقتبس لي قصائد كالديرون السرية.
لا تلفظ كلمة حرية في غرفة الإعدام.

كل يوم أصحو، سيد الحواس الجشعة يستشعر
طريقة جديدة لكي ألقي رأسي على سطح المكتب.
وفي حفلات الزفاف أحسد حتى القس.

---

(١) بيدرو كالديرون دي لا باركا (١٦٠٠-١٦٨١): شاعر ومسرحي إسباني.

في كلّ نفس أتنفسه يريد أن يخرج أولاً
ولا أمانع. كثير من الظلم
يخرج إلى العالم عبري.

نتغذى بهجران الظلال.
ما يفيض هو ما يبعدنا عن الله.
أما الأديرة التي تحترق فتبنى في عالمنا.

رقائق الثلج ترسم أشكالاً كثيرة.
الكثير من أذيال السلمون تتلامس في العتمة.
الكثير من سمك الهلبوت يقع في شباك اليأس.

التشابه بين حياتك والكلب

لم أقصد قطّ أن أعيش هذه الحياة،
صدّقني لقد حدثت هكذا فحسب
كما يظهر كلب فجأة في مزرعة،
ويروح يهزّ ذيله دون أن يجيد الشرح.

من الجيد أن تتمكّن من قبول حياتك:
ستلاحظ أن التجاعيد غزت وجهك
في محاولة التأقلم معها.

كان وجهك يظنّ أن حياتك ستبدو
كمرآة حمامك حين كنت في العاشرة.
حين كان هنالك نهر صاف لامسته رياح جبلية.

حتى ذووك لا يصدقون كم تغيّرت.
عصافير الدوري في الشتاء، إذا حدث وامسكت أحدها،
تفر من يديك في زقزقة من نار. وتراها لاحقاً على
الأشجار.

يمتدحك المعلّمون. لكنك لا تستطيع العودة إلى دوري
الشتاء.
حياتك كلب جعله جوعه يقطع الأميال إليك.
لا يحبك بالضرورة، لكنه يستسلم، ويدخل.

شهر من السعادة

حصان أعمى يقف بين أشجار الكرز.
والعظام تلتمع من الأرض الباردة.
يثب القلب إلى السماء تقريباً!
لكن المراثي تعاود شدّنا إلى الظلمة.
يأخذنا الليل. لكنّ مخلباً
يبرز من الظلمة لينير الطريق.
سأكون على ما يرام.
سأتبع آثاري المضيئة في الليل.

خريف خاص

ذرات الغبار ترتفع وتهبط
بخطوات جليلة بطيئة،
مثل خدم يرقصون في الفناء
احتفالاً بمولد أمير ما.

ما الذي ولد؟ إنه الشتاء.
إذاً كان المصريون القدماء محقّين.
كل شيء يتحيّن فرصة لكي يموت،
لكي يولد في هواء الخريف النقي.

كل وريقة شجر تقع وتغوص
حينما لا نتوقع ذلك البتة.
ننظر إلى النافذة
بحثاً عن شيء جذب أبصارنا.

قد يكون الخريف قبر
يولد منه طفل.
نشعر بفرح سرّي
ولا نخبر أحداً!

لمَ لا نموت؟

في نهاية سبتمبر ثمة أصوات كثيرة
تقول لك إنك ستموت.
تلك الوريقة تقول لك. ذلك البرود.
جميعهم محقّون.

أرواحنا الكثيرة - ماذا يمكنهم
أن يفعلوا بها؟
لا شيء. فهي جزء
من اللامرئي.

أرواحنا كانت تتوق
للعودة إلى ديارها على أي حال
«تأخر الوقت»، تقول،
«أقفلوا الباب، فلنرحل».

لا يوافق الجسد. يقول:
«لقد دفنا كرة معدنية صغيرة
تحت الشجرة.
فلنذهب ونأتِ بها».

المحتويات

لمحة عن المؤلف

ولد بلاي عام ١٩٢٦ في غربي ولاية «منيسوتا». تخرج من هارفرد عام ١٩٥٠ وعاش بضع سنوات في نيويورك، وفي العام ١٩٥٤ التحق بـ«محترف الكتّاب» في جامعة أيوا، مع دبليو سوندغراس ودونالد جاستيس وآخرين. وفي العام ١٩٥٦ سافر إلى النرويج، ليؤسس عند عودته إلى أمريكا مجلة «الخمسينات» التي تعنى بترجمة الآداب المكتوبة بغير اللغة الإنجليزية. في العام ١٩٦٧ أصدر مجموعته الشعرية «هالة الجسد» (١٩٦٧) التي حازت على جائزة «ناشيونال بوك أوورد».

من أعماله الشعرية: «إجّاص تركي في أغسطس» (٢٠٠٧)، «كانت محكوميتي ألف عام من الفرح» (٢٠٠٥)، «ليلة نادى ابراهيم النجوم» (٢٠٠١)، «الثلج في شمال المنزل» (١٩٩٩)، «قصائد الصباح» (١٩٩٧)، «تأملات في الروح النهمة» (١٩٩٤)، «قصائد مختارة» (١٩٨٦)، «أن تحب امرأة في عالمين» (١٩٨٥)، «قصائد مختارة» «النائمون بأيد مضمومة»، «القفز من السرير».

لمحة عن المترجم

وُلد **سامر أبو هواش** عام ١٩٧٢ بصيدا - لبنان. درس الإعلام والصحافة بالجامعة اللبنانية ١٩٩٦. كاتب وصحافي. له العديد من الأعمال الشعرية والترجمات الأدبية، منها: **الحياة تُطبع في نيويورك**، شعر، بيروت ١٩٩٦؛ **تحية الرجل المحترم**، شعر، بيروت ١٩٩٩؛ **تذكّر فالنتينا**، شعر، بيروت ٢٠٠١؛ **جورنال اللطائف المصوّرة**، بيروت ٢٠٠٣؛ **نُزل مضاء بيافطات بيض**، شعر، بيروت ٢٠٠٥؛ **عيد العشاق**، رواية، بيروت ٢٠٠٥؛ **السعادة**، رواية، بيروت ٢٠٠٧. من ترجماته: يان مارتل، **حياة باي**، رواية، ٢٠٠٦؛ جاك كيرواك، **على الطريق**، رواية، ٢٠٠٧؛ حنيف قريشي، **بوذا الضواحي**، رواية، ٢٠٠٧.

هذا الكتاب

هذه ليلة عاصفة مقمرة.

القمر حجب درب التبانة.

الغمام بالكاد يتنفّس،

والعشب يثب على الأرض.

هذه ساعة العودة.







